جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ

دِيوَانُ الوَقْفِ الشِيْعِيّ

العَتَبَةُ العَبَّاسِيَّةُ المُقَدَّسَةُ

تُرَاثُ الحِلَّة

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الحِلِّيّ

تَصْدُرُ عَنْ:

العَتَبَةُ العَبَّاسِيَّةُ المُقَدَّسَةُ

قِسْمُ شُؤُونِ المَعَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ

مَرْكَزُ تُرَاثِ الحِلَّة

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّة

السَّنَةُ (الثالثة) / المجَلَّدُ (الثالث) / العَدَدُ (السابع)

رجب الأصب ١٤٣٩هـ / آذار ٢٠١٨م

العتبة العباسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة.
تراث الحِلَّة : مجلَّة فصليَّة محكَّمة تُعنى بالتراث الحِلِّي / تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة قسم شؤون المعارف المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة مركز تراث الحِلَّة.- الحِلَّة/ العراق : العتبة العباسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة. ١٤٣٧ هـ = ٢٠١٦-
مجلَّد : جداول، صور طبق الأصل ؛ ٢٤ سم
فصليَّة.-السنة الثالثة، المجلَّد الثالث، العدد السابع (آذار ٢٠١٨)-
ردمد: 2412.9615
يتضمَّن إرجاعات ببليوجرافيَّة.
النصّ باللغة العربيَّة ؛ ومستخلصات باللغة الإنجليزيَّة.
١. العلماء المسلمون (شيعة)--العراق--الحِلَّة--تراجم--دوريَّات. ٢. الحِلَّة (العراق)--تاريخ--دوريَّات. ألف. العنوان

BP192.8 .A8374 2018 VOL.3 NO. 7

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

التصنيف في إمامة آل البيت ومناقبهم
ابن البطريق الحِلِّيّ (ت ٦٠٠هـ) اختيارًا

The Classification in Al-Albayt Imama and their Virtues Ibn Al-Batreeq Al-Hilli As a Selection

م.د. محمَّد حليم حسن

مركز تراث الحِلَّة

Lect. Dr. Mohammed Halim Hassan

Hilla Heritage Center

ملخَّص البحث

تحتلُّ قضيَّة التصنيف في فضائل ومناقب آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولاسيما الإمام عليّ عليه السلام، حيِّزًا كبيرًا عند مصنِّفي المذهب فهو- أي الإمام عليّ- الفكرة المركزيَّة التي تدور حولها بقيَّة الأفكار التي تبحث في بيان أحقيَّة آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ميراث جدِّهم على الصعيد الدينيّ والتنفيذيّ.

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على الجهود المبذولة في هذا الميدان ولاسيما مؤلَّفات ابن البطريق الحِلِّيّ (ت ٦٠٠هـ) التي تُعدُّ رائدة بطريقة معالجتها لهذا الميدان بالاعتماد على المنهج العقليّ، فهو أفحم المعاندين بالاعتماد على كتبهم وأفكارهم المبثوثة فيها في شخص الإمام عليّ عليه السلام.

وجاء هذا البحث على مبحثين، وضَّحنا في المبحث الأوَّل ترجمة الشيخ ابن البطريق، فضلًا عن دراسة وصفيَّة لمؤلَّفاته- في المبحث الثاني- والتي تدخل في إطار عملنا.

Abstract

The issue of classification in the virtues of the Prophet Mohammad (PBUH), especially Imam Ali (PBUH), occupies a large place in the work of the doctrine, namely Imam Ali, the central idea which revolves the rest of the ideas that are discussed in the statement of the right of the Prophet (PBUT) in the legacy of their grandfather on the religious and executive level.

This research aims to shed light on the efforts exerted in this field through the writings of Ibn Al-Batreek Al-Hilli (D. 600 A.H.), which are considered as a pioneer in the way of dealing with this field based on the mental approach.

He persuaded the intransigence by based on their books and ideas that mentioned the person of Imam Ali (peace be upon him).

This research included two topics, in which we explained the biography of Shaikh Ibn Al-Batreek as well as a descriptive study of his writings which fall within our work.

مقدِّمة البحث

الحمدُ لله ربِّ العالمين الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على محمَّد وآل بيته الطيِّبين الطاهرين.

أمَّا بعد

فإنَّ التأليف في إمامة آل الرسول عليهم السلام سمة العصور الإسلاميَّة الأولى بالنسبة لعلماء المذهب، فقد مثلت الشخصيَّة العلويَّة رافدًا مهمًّا لكثير من العلماء والفقهاء والأدباء، فجاء التأليف في مناقب آل بيت الرسول عليهم السلام وفضائلهم وخصالهم نثرًا وشعرًا، والهدف منه أوَّلًا كشف قيم السماحة التي يمثِّلها أهل البيت عليهم السلام، فضلًا عن بيان أحقيَّتهم في الخلافة، وخصوصًا الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فكثرت الأقلام التي تحدَّثت في هذا الميدان وخُطَّت آلاف المجلَّدات في هذا المضمون، ولم تُترك شاردة أو واردة إلَّا وكُتب عنها في القرون الخمسة الأولى للإسلام، فتراكمت الكتب وتعدَّدت العنوانات لموضوعٍ واحدٍ، إلى أن أثمر القرن السادس الهجريّ عن عقليَّة خرجت عن المعتاد فقدمت الجديد عن طريق اعتماد التفكير العقليّ، مُحاوِلةً إسكات الخصوم بالاعتماد على مؤلَّفاتهم التي شرحت القرآن الكريم والأحاديث النبويَّة، فكان ابن البطريق الحِلِّيّ يجمع الصِّحاح والمسانيد لأبناء العامَّة، ويثبت طرق روايتها، ثمَّ يفحمهم بما فيها من حجج وبراهين على القول بإمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

يُقسَّم البحث على قسمين: الأوَّل تكفَّل ببيان ترجمة ابن البطريق بصورة كاملة

ابتداءً من اسمه و شيوخه وتلامذته و مؤلَّفاته، وغير ذلك ممَّا يتعلق به. أمَّا القسم الآخر: فهو يخصُّ الكتب التي ألَّفها في بيان إمامة آل الرسول عليهم السلام، وخصوصًا الإمام عليّ عليه السلام، وهي خمسة كتب تناولت هذا الموضوع الذي سيطر على عصر ابن البطريق والعصور التي تلته.

المبحث الأوَّل

ابن البطريق الحِلِّيّ (٥٢٣-٦٠٠هـ)

أوَّلًا: عصره

ينتمي العلَّامة يحيى بن البطريق الأسديّ الحِلِّيّ إلى القرن السادس الهجريّ، فقد ولِد عـام (٥٢٣هـ)[١] في مدينة الحِلَّة التي كانت حديثة التمصير على يد (صدقة بن منصور) في عام (٤٩٥هـ)[٢]، وبذلك تكون الحِلَّة سياسيًّا تحت سيادة الإمارة المزيديَّة.

لقد هيَّأت الأوضاع السياسـيَّة المضطربـة في العراق الفرصة لـ(صدقة بن منصور) أن يؤسِّـس هـذه الإمارة الخاصَّـة بالمزيديِّـين[٣]، فضلًا عن مـا يتمتَّع بـه (صدقة) من مواصفـات جيِّدة كانت سـببًا واضحًا في ظهـور الإمارة، إذ عُرف عنه أنَّه كان حسـن السيرة، كريمًا، عادلًا، متواضعًا، كثير الإحسان[٤]، ونتيجةً لذلك «كَثُر العمران في الحِلَّة وبُنيـت الدور السـكنيَّة الفاخرة وصارت شـيئًا مألوفًا فيها، حتَّى صـارت أفخر مدن العراق وأحسـنها»[٥]، لكنَّ الإمارة المزيديَّة لم تكن ذات اسـتقلال كامل، فهي خاضعة بشـكل معيَّن للدولة العبَّاسـيَّة في بغداد الخاضعة بدورها للسـلطان السـلجوقيّ الذي حكم البلاد في تلك المرحلة[٦].

الحالة السياسيَّة

لقـد تأثَّـرت الحلَّة بالأوضاع السياسـيَّة سـلبًا وإيجابًا جرَّاء الصراع السـياسيّ بين

الخلافة العبَّاسيَّة والسلطة السلجوقيَّة في بغداد، مع ظهور حالات قوَّة الخلافة واستعادة هيبتها في حكم بعض الخلفاء[٧]، فكان السلاجقة يتدخَّلون في الشؤون الداخليَّة لمدينة الحِلَّة، فيعيِّنون من يشاؤون على مناصبها الإداريَّة من دون الرجوع إلى بني مزيد، فقد استأثروا بالسلطة الفعليَّة في البلاد، وجرَّدوا الخلفاء من سلطتهم الدنيويَّة[٨].

وبذلك كانت مدينة الحِلَّة داخلة في هذا الصراع، لكنَّها دائمًا ما كانت تساند الخليفة على حساب السلجوقيّ انطلاقًا من مفهوم العروبة، فقد قاتلت عشائرها إلى جانب الخليفة مرارًا لصدِّ الغزو السلجوقيّ لبغداد[٩].

وفي عام (٥٤٧هـ) مات السلطان السلجوقيّ مسعود بن محمَّد، فتهاوت دولتهم، فعادت الحِلَّة رسميًا إلى الدولة العباسيَّة، واتَّخذها العبَّاسيُّون معسكرًا لتحرير باقي البلاد من بقايا السلاجقة[١٠]، لكن رغم ذلك لم تستقر مدينة الحِلَّة، ففي عام (٥٥٢هـ) استولى مهلهل بن أبي العسكر على مدينة الحِلَّة مستغلًّا حالة الحرب بين بغداد والسلاجقة، وفي عام (٥٥٥هـ) سيطرت خفاجة على سواد الحِلَّة، وقد وافقت بغداد على ذلك الأمر، ليستمر حكمهم إلى عام (٥٦٨هـ) لتنتقل إمارة الحِلَّة إلى بني خزنة، وهم من خفاجة أيضًا، ثمَّ سيطر بنو كعب عليها مع كثير من المعارك والإغارات التي كلَّفت المدينة الكثير على المستويات جميعها[١١].

ونتيجةً لذلك لم تستقر الحِلَّة سياسيًّا طيلة القرن السادس الهجريّ، فقد حكمها المزيديّ، والسلجوقيّ، والعباسيّ، ثمَّ قبائل خفاجة وكعب، ثمَّ يعود الأتراك إليها، وكلُّ ذلك يتمُّ عن طريق الحروب وإراقة الدماء وتدمير المدينة. وقد استمر الحال على ذلك إلى عام (٦٥٦هـ) إذ سقطت الخلافة وتهاوت البلاد في جحيم المغول.

الحالة الفكريَّة

لقد نشـأت في مدينة الحِلَّة نهضـة علميَّة وأدبيَّة كبيرة اسـتمرت لقرون عدَّة، فبرز فيها عـددٌ كبيرٌ من العلماء والأدبـاء الذين كانوا روافد فكريَّة متدفِّقـة بالعلم والمعرفة، تاركـين وراءهـم إرثًا علميًّا وأدبيًّا غزيـرًا تجاوز آلاف المصنَّفـات في العلوم والمعارف، فأغنوا المكتبة الإسـلاميَّة بالكتب القيِّمة التي أمست- حتى يومنا هذا- مناهج دراسيَّة تـدور عليها رحى البحث والمناقشـة في الكثير مـن مراكز البحث الفقهـيّ، والعلميّ، والأكاديمـيّ. ولقد نبغ عدد كبير من أئمَّة الفقه والدين والأدب في الحِلَّة، فحازت على زعامة الدين حُقبًا طويلة[١٢].

ومن أبرز علماء تلك الحقبة الزمنيَّة (ابن البطريق الحلِّيّ) الذي تدلُّ مؤلَّفاته وطريقة تقديمها على رُقِيِّ الحياة الفكريَّة في ذلك العصر، وهذا طبعيّ، فالعلوم والمعارف تسـير بخطٍّ معاكسٍ للحالة السياسـيَّة والاقتصاديَّة في بلد من البلدان، فنجد عددًا من العلماء الذيـن مثَّلوا ذلـك العصر من أمثـال (ابن ادريس، وابـن حُميدة، والشـيخ ورَّام، وابن السكونيّ الحِلِّيّ، وابن سنان الخفاجيّ الحِلِّيّ)[١٣].

ثانيًا: اسمه

هو الشـيخ أبو الحسـين يحيى بن الحسـن بن الحسـين بن عليّ بن محمَّد بن البطريق الأسديّ الحِلِّيّ[١٤]، ولِد سنة (٥٢٣هـ) في مدينة الحلَّة[١٥]، تلقَّى علومه الأولى في مدينته، ثـمَّ درس الفقه والكلام على المذهـب الإماميّ، وتعلَّم النحو والنثـر واللغة حتى صار مفتيًـا لأهـل محلَّته، توفِّي في الحِلَّة عام (٦٠٠هـ) في شـهر شـعبان، وله سـتَّة وسـبعون عامًا[١٦].

ينتمي الشيخ ابن البطريق الحِلِّيّ إلى أسرة جليلة- وهم من الشيعة الإماميَّة- عُرفت

«هـذه الأسرة بالعلـم والفضـل والأدب»[١٧]، والبطريـق لقبهم، ويعني في لغة الشـام والـروم: «القائد (معرَّبٌ) وجمعه على بطارقة، وهو الحاذق في أمور الحرب وفنونها عند الـروم، وهو ذو منصب متقدِّم عندهم»[١٨]، وربما جاء هذا اللقب للأسرة نتيجة تواجد أحد أفراد أسرته قديمًا في منصبٍ حربيٍّ معيَّنٍ.

والرجل بحسب ما يصفه محقِّق كتاب (الخصائص): «بأنَّه من نوادر الدهر، ونوابغ السـلف الماضين، وكبار المجاهدين لإعـلاء كلمة الحقِّ وزهق الباطل، وقلَّما يوجد مثله في معاصريه والمتقدِّمين عليه والمتأخرين عنه، لكن لقلَّة نشر آثاره وبُعد الناس عن تناول كتبه لم ينتشر صيته وخمل ذكره حتَّى عند ذويه المتأخِّرين، وليس هو أوَّل شـخصية خمل ذِكرها بين الأنام، ولا أوَّل قارورة كُسرت في الإسـلام، فإنَّ أكثر الناس إمَّعة وهم أبناء مـن غلب وترأَّس، وفي جلِّ أمورهم مقلِّدون وعن توخِّي الحقِّ واللحاق به كاسـلون، وعن بذل الجهود وتحمُّل العناء لنيل المعالي متقهقرون»[١٩].

ثالثًا: شيوخه[٢٠]

قرأ الشيخ ابن البطريق الحِلِّيّ على يد لفيفٍ من علماء المسلمين، آخذًا منهم الحديث والتفسـير واللغة والكلام والفقه، فنجده يروي عن أعلام عدَّة تتلمذ عليهم في مراحل حياتـه، وقـد ذكر شـيوخه في كتبـه؛ لذلك يمكن اسـتخراج شـيوخه من متـون كتبه، وهم:

١. الشيخ عماد الدين محمَّد بن عليّ الطبريّ المتوفَّى عام (٥٢٤هـ) تقريبًا، صاحب كتاب (بشـارة المصطفى)، وهو عماد الدين أبو جعفر محمَّد بن أبي القاسم عليّ ابن محمَّد بن عليّ بن رستم الطبريّ الآمليّ، العالم الجليل، الثقة الواسع الرواية، من علماء الإماميَّة في القرن السادس الهجريّ وفقهائهم ومحدِّثيهم[٢١].

٢. محمَّد بن شهر آشوب بن نصر بن أبي الحسين المازندرانيّ، الملقَّب برشيد الدين، وعـزِّ الدين، الأديب المفسِّر، ولِد عام (٤٨٩هـ)، كان متبحِّرًا في علوم الدين والحديـث والرجال، لـه (مناقب آل أبي طالب)، و(معالم العلماء)، توفِّي سـنة (٥٨٨هـ)[٢٢].

٣. أبو جعفر إقبال بن المبارك بن محمَّد العكبريّ الواسطيّ المتوفَّى سنة (٥٨٧هـ)، روى عنه في شهور من عام (٥٨٤هـ)[٢٣].

٤. الشـيخ الإمام أبو بكر عبد الله بن المنصور بن عمـران الباقلانيّ الإمام المقرئ المتوفَّى سنة (٥٩٣هـ)، روى عنه صحيح مسلم في عام (٥٧٩هـ)[٢٤].

٥. فخر الإسلام أبو عبد الله أحمد بن الطاهر، وهو يروي عنه مسند أحمد[٢٥].

٦. الأمير أبو الحسـين محمَّد بن الحسـن بن عليّ بن الوزير أبي العلاء الواسـطيّ، روى عنه في ربيع الأوَّل سـنة (٥٨٥هـ) كتاب (الجمع بين الصحيحين) لأبي نصر الحميديّ[٢٦].

وغيرهم ممَّن ذكرهم في كتبه[٢٧] من أمثال:

- أبي جعفر المبارك بن المبارك الحدَّاد الواسطيّ.
- أبي البركات عليّ بن الحسين بن عليّ الموصلِّيّ.
- محمَّد بن أحمد بن عبيد الموصلِّيّ.
- القاضي أبو الفتوح نصر الله بن عليّ بن منصور، قاضي الوقف الكبير.
- نجـم الدين محمَّد بن أبي هاشـم العلويّ الذي قرأ عليه (رجال الكشِّيّ) سـنة (٥٧٧هـ).

رابعًا: تلامذته

قرأ على شيخنا الجليل رحمه الله عدد من العلماء والفقهاء في الحديث وعلم الرجال والفقه والكلام، وهم:

١. عليّ بن يحيى بن الحسن بن البطريق الحلِّيّ، وهو ابن المترجَم له، كان فاضلًا أصوليًّا، كتب بالديار المصريَّة أيَّام الدولة الكاملة، ثمَّ عاد إلى العراق ومات في بغداد عام(٦٤٢هـ)[٢٨].

٢. عليّ بن يحيى بن عليّ الخيَّاط الشيخ الجليل الفقيه أبو الحسن الهوراويّ، الراوي عن الفقيه عربيّ بن مسافر العباديّ، يروي عن ابن البطريق وابن إدريس[٢٩].

٣. فخار بن معد بن أحمد شرف الدين أبو عليّ العلويّ الموسويّ المتوفَّى سنة (٦٣٠هـ) في كربلاء، المكنَّى بأبي الغنائم، كان نسَّابةً، فقيهًا، شاعرًا، له كتاب (الحجَّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب)[٣٠].

٤. محمَّد بن معد بن عليّ، صفي الدين أبو جعفر الموسويّ، قرأ على ابن طاووس وابن البطريق الحِلِّيّ، يرجع نسبه إلى الإمام الصادق[٣١].

٥. محمَّد بن عبد الله بن عليّ بن زهرة الكبير المعروف بابن زهرة المتوفَّى عام (٥٨٥هـ)، وهو ابن أخ أبي المكارم حمزة بن زهرة صاحب كتاب (الفقيه)، وهو يروي عن شيخنا المترجَم له[٣٢].

٦. محمَّد بن جعفر المشهديّ المتوفَّى عام (٥٩٤هـ)، وهو من علماء الإماميَّة ومحدِّثيهم، لكنَّ روايته عن ابن البطريق محلّ شكّ؛ لأنَّه ولِد سنة (٥٣٣هـ) في رواية؛ لذلك لا تجوز هذه القراءة، فكيف يقرأ المشهديّ المولود عام (٥١٠هـ) على يد من هو أصغر منه؟[٣٣].

خامسًا: مؤلَّفاته

لابـن البطريق الحِلِّيّ عشرة مؤلَّفات فقط، امتـازت بالجودة والكثافة الفكريَّة المبنيَّة عـلى المنطق والـروح العلميّة. كانـت مؤلَّفاته من حيـث الموضوع دينيَّـة فقهيَّة بصورة واضحة، خصوصًا فيما يخص آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولاسيما الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إذ أخذ عهدًا على نفسه بالدفاع عن عقيدة البيت المحمَّديّ[٢٤]، وإظهار أحقيَّتها، ودحض أقوال المخالفين لها بالدليل والبرهان الذي لا يصدر عن فقهاء الطائفة فحسـب، بل بما يصـدر عن جميع فقهاء المسـلمين، وبذلك امتازت مؤلَّفاته بالموضوعيَّة التي تسـتند إلى آراء الفِرق الأخرى في فضائل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومناقبه وإمامته.

وقـد ذكرت المصـادر[٣٥] التي تناولت ابن البطريق الحِـلِّيّ مؤلَّفاته جميعها، لكن ممَّا يؤسَـف له أنَّه ليس كلُّ ما ألَّفه موجود بين أيدينـا، وبذلك فقدت المكتبة الفقهيَّة بذلك بعضًا من أهمِّ الكتب في مجال دراسـتها. وتُقسـم كتب الشـيخ ابـن البطريق الحِلِّيّ على قسمين:

الأول: مـا يتَّصـل بموضـوع إثبـات الإمامـة وبيـان مناقـب الإمام عـليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهي خمسة كتب:

١. اتِّفاق صحاح الأثر في إمامة الأئمَّة الاثني عشر.

٢. كتاب خصائص الوحي المبين في مناقب أمير المؤمنين.

٣. عمدة عيون صحاح الأخبار.

٤. المستدرك المختار في مناقب المختار.

٥. كشف المخفيّ من مناقب المهديّ عليه السلام.

الثاني: ما يتَّصل بموضوعات أُخر، وهي خمسة كتب أيضًا[٣٦]:

١. عمدة عيون صِحاح الأخبار

٢. نهج العلوم إلى نفي المعدوم المعروف (بسؤال أهل حلب)

٣. رجال الشيعة

٤. الردُّ على أهل النظر في تصفُّح أدلَّة القضاء والقدر.

٥. تصفُّح الصحيحين في تحليل المتعتين، والمقصود بالمتعتين متعة الحجِّ ومتعة النساء.

هذه هي مؤلَّفات الشيخ ابن البطريق الحِلِّيّ، والتي لم تركِّز على موضوعٍ واحدٍ، بل تنوَّعت في المضامين بين الدين والتاريخ والفقه وحتَّى المجتمع، خصوصًا فيما يتعلَّق بزواج المتعة، هذا الموضوع الذي شغل كثيرًا من الناس من ناحية جوازه أو حرمته، وكتاب (تصفُّح الصحيحين في تحليل المتعتين)، من عنوانه يوضِّح اللبس الحاصل في القول بزواج المتعة.

سادسًا: منهجه وعلميَّته

يعدُّ الشيخ ابن البطريق الحِلِّيّ من أعلام الطائفة الشيعيَّة، فيصفه الميرزا عبد الله الأفنديّ الأصفهاني «بأنَّه هو وكتابه العمدة مشهوران مذكوران في أسانيد الإجازات»[٣٧]، والحقيقة أنَّ شهرته وعلميَّته في مساند الإجازات لم تأتِ من فراغ، بل جاءت لمنهجه الذي اشتُهر به، والذي يعتمد على الدليل والحجَّة والبرهان في محاورة الآخرين، معتمدًا على العقل في الردِّ على المخالفين[٣٨] في إمامة عليّ ابن أبي طالب عليه السلام.

ويقوم هذا المنهج على تدوين فضائل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومناقبه بصورة صريحة، لكن ليس من مؤلَّفات علماء الطائفة الشيعيَّة وفقهائها، بل من كتب علماء العامَّة ومساندهم، بالاعتماد على كتب الصحاح والمسانيد التي صدرت عنهم، ذاكرًا شرح الآيات الكريمة موضِّحًا لمعضلاتها، لكن بلسانهم إذا استدعت الضرورة، وكلُّ ذلك بلغة وأسلوب يمتازان بالبساطة والمرونة على مستوى المعنى واللفظ.

والجدير بالذكر أنَّ هذا المنهج لا يخلو من منفعتين: الأولى وهي الظاهرة وهي تدوين فضائل آل البيت النبوي عليهم السلام، والأخرى: هي الردّ على المعاندين من باب (من فمك أدينك).

ولا يخفى على أحد أنَّ هذا المنهج العلميّ/ العقليّ لا يترك مجالًا للمشكِّكين ولا فسحة للنقاش في ما تقدِّمه كتبه التي تهدف إلى بيان المكانة الرفيعة لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وفي مقدِّمتهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فيقول واصفًا منهجه: «إذ رأيت أكثر طلبة العلم- إلَّا من عصمه الله تعالى- منكبًّا على الاشتغال بما وضعه لهم مشايخهم من المصنِّفين في الأصول والفروع إخلادًا منهم إلى راحة التقليد، وإطِّراحًا لوظيفة النظر في موضع الدليل، إذ جميع الدين ليس بمجرَّد الاقتباس ولا التخمين، بل هو مؤسَّس على كتاب الله، وما صحَّ من سنَّة الرسول الأمين؛ لأنَّ من لا يراعيهما طالب للعلم من غير سبيله، ومقتحم ولوجه من غير بابه ودليله، فأثار لي ذلك عزمًا... في أن أؤلِّف كتابًا لم يسبق إلى مثله قديم عصر بالتصنيف، ولا حديث عهدٍ بالتأليف مِن كِلَا الطرفين تنبيهًا للعالم الزكيّ، وتقويمًا للجاهل الغويّ الغبيّ، إذ هو من كلام الربِّ العليّ وقول النبيّ الأمِّيّ...»[٣٩].

فهو يبيِّن أنَّ منهجه جديد، ويعتمد على القرآن الكريم، وما ثبتت صحَّته من أقوال

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون بذلك حجَّة على العالِم والجاهل.

يقول محقِّق كتاب العمدة: «إنَّ هذا الأسلوب أو المنهج جديد لم يستعمله أحد ممَّن سبقه»[٤٠]، ففتح بذلك بابًا جديدًا للتأليف أمام مَن جاء بعده من العلماء والفقهاء.

أمَّا علميَّته فهي تتجلَّى في أقوال العلماء والفقهاء فيه وأصحاب الرجال، فضلًا عمَّا يشهد به منهجه الذي سار عليه في تأليف كتبه، وعلى النحو الآتي:

- قال صاحب كتاب (رياض العلماء) الأفنديّ التبريزيّ: «الشيخ الأجل شمس الدين ابن البطريق الأسديّ، المتكلِّم الفاضل، العالم المحدِّث الجليل، صاحب كتاب (العمدة) وغيره من الكتب في المناقب العلويَّة، وقد رأيت من يمدحه بقوله: الشيخ شمس الدين جمال الإسلام، العالم الفقيه، نجم الإسلام، تاج الأنام، مفتي آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم»[٤١].
- الشيخ ابن البطريق الأسديّ «كان فاضلًا، عالمًا، محقِّقًا، ثقةً، صدوقًا...» كما يصفه العامليّ في أمل الآمل[٤٢].
- وجاء وصفه في تأسيس الشيعة بأنَّه: «المتكلِّم الفاضل، المحدِّث الجليل، وهو أشهر من أن تُشرح أحواله»[٤٣].
- قال الشيخ آغا برزك الطهرانيّ في (الثقات العيون): إنَّه كان فقيهًا متكلمًا، قرأ النحو واللغة والنظم والنثر، وكان زاهدًا متنسِّكًا حتَّى صارت الفتوى في مذهب الإماميَّة إليه[٤٤].

هذه أبرز الأقوال في علميَّة الشيخ ابن البطريق الحِلِّيّ، وهي على سبيل المثال لا الحصر، وإلَّا سنجد عشرات الأقوال في كتب التراجم والرجال التي تناولت هذه الشخصيَّة العلميَّة.

المبحث الثاني

مصنَّفات ابن البطريق الحِلِّيّ في إمامة آل البيت عليهم السلام ومناقبهم

بدأ التأليف في مناقب آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولاسيما في الإمام عليّ عليه السلام، بدأ منذ القرون الأولى لظهور الإسلام، فلو راجعنا بعض الكتب التي قامت بجمع هذا المجهود الكبير لعلماء المسلمين في حقِّ آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لوجدنا آلاف الكتب وبمجلَّدات عدَّة تدور حول هذا الموضوع، ولعل خير كتاب يمكن مطالعته للوقوف على هذه المؤلَّفات هو كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) للشيخ آغا برزك الطهرانيّ المتوفَّى سنة (١٣٨٩هـ)، وغيرها من المؤلَّفات التي جعلت محور اشتغالها يدور حول هذا الموضوع.

فالكلام في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام يأخذ في هذه الكتب بُعدين: الأوَّل هو ذِكر مناقب أفضل شخصيَّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والوقوف على ارتباطها ومدى قربها من الذات الإلهيَّة، وكشف الدور المرسوم لها من قِبَل السماء، والآخر: هو إثبات أحقيَّة الإمام عليّ عليه السلام في وراثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كلِّ شيء، فالذي يرتبط بالرسالة السماويَّة بهذا الشكل لا بدَّ أن يكون صالحًا وملائمًا لخلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

والكتب[٤٥] كثيرة في هذا الميدان، نذكر بعضًا منها على سبيل إيضاح الفكرة العامَّة لها:

- الخصائص العلويَّة: للإمام النسائيّ المتوفَّى سنة (٣٠٣هـ).

- خصائص أمير المؤمنين: ابن دؤل القمِّيِّ المتوفَّى سنة (٣٥٠هـ).
- خصائص أمير المؤمنين في القرآن: للنقيب أبي محمَّد الحسن بن أحمد بن القاسم ابن محمَّد بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام المتوفَّى سنة (٣٥٨هـ).
- خصائص الأئمَّة: للشريف الرضيّ أبي الحسن محمَّد بن أبي أحمد بن الحسين بن موسى البغداديّ المتوفَّى سنة (٤٠٦هـ).
- خصائص أمير المؤمنين من القرآن المبين: للشيخ أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بالحاكم الحسكانيّ، المتوفَّى سنة (٤٩٠هـ).
- الخصائص العلويَّة على سائر البَرِيَّة: لأحمد بن عليّ النطنزيّ المتوفَّى (٥٥٠هـ).
- كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين: للعلَّامة الحِلِّيّ المتوفَّى (٧٢٦هـ).

أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين: للحافظ البرسيّ الحِلِّيّ المتوفَّى سنة (٨١٣هـ).

وغيرها من الكتب التي جمعت الآيات والأحاديث في حقِّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لكن من أبرزها مؤلَّفات الشيخ ابن البطريق الحِلِّيّ التي جرت على منهج عقليّ يعتمد على أقوال علماء المذاهب الأخرى، وبذلك يُفحم المناقشين ويردُّ كيد المعاندين، ولشيخنا الجليل مؤلَّفات عدة- كما أسلفنا- لكن ليس جميعها يدخل في ضمن موضوع التأليف في إثبات الإمامة وبيان المناقب والخصال الحميدة للإمام عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، فالكتب التي تدخل ضمن عملنا هي:

١. عمدة عيون صحاح الأخبار.
٢. المستدرك المختار في مناقب وصيِّ المختار.
٣. كتاب خصائص الوحي المبين.

٤. اتِّفاق صحاح الأثر في إمامة الأئمَّة الاثني عشر.

٥. كشف المخفيّ من مناقب المهديّ عليه السلام.

فأمَّا كتاب (العمدة، والمستدرك، والخصائص، وكشف المخفيّ) فقد ظفرت بها، لكن كتاب (اتِّفاق صحاح الأثر في إمامة الأئمَّة الاثني عشر) لم استطع التوصُّل إليه؛ لذلك سيقتصر عملنا في هذا البحث على ما وضعت يدي عليه من كتب الشيخ ابن البطريق الحِلِّيّ، على أنَّ كتاب (اتِّفاق صحاح الأثر في إمامة الأئمَّة الاثني عشر) وحسب العنوان لم يخرج موضوعه عن الموضوع العام الذي نعمل عليه في مؤلَّفات الشيخ ابن البطريق الحِلِّيّ، وهو التأليف في إثبات إمامة آل الرسول عليهم السلام، وخصوصًا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وفي الآتي بيان لهذه الكتب:

أوَّلًا: عمدة عيون صِحاح الأخبار

يتألَّف الكتاب من جزأين، لكن في كتاب واحد، مقسَّم على ستة وثلاثين فصلًا، في كلِّ فصل مجموعة من الآيات والأحاديث والأقوال والمناقب في آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخصوصًا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الشيخ مالك المحموديّ، والشيخ إبراهيم البهادريّ، وقامت ممثليَّة السيِّد الخامنئيّ في طهران بطبعه وتوزيعه عام (١٤١٢هـ).

تمتاز لغة الكتاب بالوضوح والمرونة، بعيدًا عن الصعوبة اللغويَّة، وبذلك يخاطب جميع الطبقات الاجتماعيَّة، فقد عمد المؤلِّف إلى إيصال المضمون بأسهل الألفاظ وأوضحها في سبيل مخاطبة أكبر قدر من الناس وكشف الحقائق لهم، وقد اعتمد في كلِّ كتبه منهجًا خاصًّا عُرِف به فيما بعد بين الفقهاء والقرَّاء، وهو الاعتماد في جمعه للمناقب

والفضائـل العلويَّة على الأحاديث والآيـات الواردة في صحاح أهل العامَّة وسُـنَنِهم، وذلك بنسق خاص وترتيب مبتكر(٤٦).

وقد استخرج هذه المناقب والفضائل في (العمدة) من صحيحي البخاريّ ومسلم، ومن صحيحي الحميديّ، ومن كتاب الصِّحاح الستَّة لجامعه الشيخ أبي الحسن بن عمَّار العبدريّ، ومسند أحمد بن حنبل، والكشف والبيان لإسحاق بن نعيم الثعلبيّ، ومناقب الفقيه لابن المغازليّ الواسـطيّ، وفضائل الصحابة، وغيرها من الكتب التي اسـتعملها الشيخ ابن البطريق الحِلِّيّ في كتاب (العمدة)(٤٧).

وعن سـبب تأليف الكتاب، فقد ذكره في ديباجة الكتاب، يقول ابن البطريق الحِلِّيّ في مقدِّمـة كتابه: «أمَّا بعد، فإنَّه لـمَّا كثر اختـلاف العام والخاص في مناقب أمير المؤمنين عـليّ بـن أبي طالب (صلوات الله وسـلامه عليه)، وذهب النـاس في ذلك كلّ مذهب، فوصف كلُّ فريق من مناقبه على قدر وسـعه وطاقته، وما وصل إليه من طرقه وروايته، وإن اختلفت آراؤهم في الاعتقاد بإمامته إجماعًا لا يدخله شوب غرام، ولا يعتريه حوب أثاب... إذ رأيت أكثر طلبة العلم إلَّا من عصمهُ الله تعالى منكبًّا على الاشتغال بما وضعه لهم مشـايخهم من المصنِّفين في الأصول والفروع إخلادًا منهم إلى راحة التقليد وإطِّراحًا لوظيفة النظر في موضع الدليل، إذ جميع الدين ليس بمجرَّد الاقتباس ولا التخمين، بل هو مؤسَّس على كتاب الله، وما صحَّ من سنَّة الرسول الأمين؛ لأنَّ من لا يراعيهما طالب للعلم من غير سـبيله، ومقتحم ولوجه من غير بابه ودليله، فأثار لي ذلك عزمًا... في أن أؤلِّف كتابًا لم يسـبق إلى مثله قديم عصر بالتصنيف، ولا حديث عهد بالتأليف من كِلا الطرفين تنبيهًا للعالم الزكيّ، وتقويمًا للجاهل الغويّ الغبيّ، إذ هو من كلام الربِّ العليّ وقول النبيّ الأمِّيّ...»(٤٨).

فالهدف هـو إثبات الإمامة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، لكن الاختلاف بالطريقة التي

يقـدِّم بها أدلَّته، فـأراد أن يثبت لهم (المخالفـين في القول بإمامة أمـير المؤمنين) بالدليل القاطـع المعتمد عـلى الآيات والأحاديث والأخبار الـواردة في كتب علمائهم وفقهائهم التـي تعتمد عـلى القرآن الكريم والسـنَّة النبويَّة الشريفة صحَّتهـا- الإمامة- ووجوب الالتـزام بها وبتوابعها من الأمور الدنيويَّة والأُخرويَّة، وهو بهذه الطريقة يُفحم العقول ويُسكت الأفواه، فالدليل منكم وفيكم، فعلى أيِّ شيء تعترضون وتجادلون؟!

ولعـلَّ أهـمَّ ما يميِّز كتـاب (العمدة) أنَّه عندمـا يشرع بذِكر الآيـات والأحاديث يذكرها بإسـنادها الكامل مهما طال أو قصر من دون ملل أو كلل، والغاية إثبات صحَّة ما يقدِّمه في آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثمَّ يسترسل بعد ذلك في شرح الآيات والأحاديث النبويَّة الشريفة وعلى كثرتها حتَّى يصل إلى نهاية الكتاب وقد استوفى خطَّة عمله وبثَّ المضمون المطلـوب، موزِّعًا الأفكار العامَّة والخاصَّة في ثنايـا الكتاب بصورة هادفة ليس فيها أي تزمُّـت أو تمسُّـك بشيء غير عقليّ، فـكلُّ ما يقوم به هو عـرض آراء العلماء والفقهاء في حـقِّ الإمام عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، طارحًا السـؤال الذي يقـف رواء هكذا مؤلَّفات: إذا كانـت هذه الصفات والآيات والأحاديث في أمـير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلـماذا هذا الابتعاد عنه، لماذا هذا العداء له ولأهل بيته ومحبِّيه؟ وهكذا تتوالى الأسـئلة، ولكن هذه الأسئلة لا تنتظر إجابة، بل هي للتاريخ؛ لتكشف مدى الظلم الواقع على آل الرسول وخصوصًا الإمام عليّ عليه السلام من قِبل فئات معيَّنة من المسلمين.

ثانيًا: المُستدرك المُختار في مناقب وصيِّ المختار

يحمل عنوان هذا الكتاب معنى إتمام الشيء أو إكماله، فقد جمع فيه الفضائل والمناقب التي لم يذكرهـا في كتاب (العمدة) معتمدًا أيضًا على كتب العامَّة كـ(الحلْية) لابن نعيم، و(المغازي) لابن اسـحاق، و(الفردوس) لابن شـيرويه، و(مناقب الصحابة) للبهائيّ،

وغيرها من الكتب التي لم يذكرها في كتاب العمدة[٤٩].

قام بتحقيق الكتاب (سعيد عرفانيان)، وصدر عام (١٤٣٦هـ) عن مكتبة العلَّامة المجلسيّ رحمه الله، لكن الكتاب على الرغم من أنَّه استكمال لكتاب (العمدة)، إلَّا أنَّه يختلف عنه من حيث الهيكليَّة والبناء العام، فهو يخلو من أيَّة مقدِّمة، وبلا فصول، بل على هيأة فصل واحد من بدايته إلى نهايته في (٥١٠) صفحة، ومن دون عنوان، وقد تضمَّن موضوعات عدَّة تخصُّ مناقب آل الرسول صلى الله عليه وآله خصوصًا الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته الأطهار، مثل مناقب السيِّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ومناقب الإمام الحسن والحسين عليهما السلام، ومناقب الإمام السجَّاد والباقر والصادق عليهم السلام[٥٠] وغيرها.

يختصُّ الكتاب في جزء كبير منه بالآيات القرآنيَّة[٥١]، فيذكر الآية وتفسيرها في الصِّحاح والأسانيد التي يعمل عليها مع ذِكر سند الرواية التفسيريَّة، في مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[٥٢]، وقوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾[٥٣]، وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[٥٤]، وغيرها من الآيات.

أمَّا المنهج فلا يختلف عن منهجه في (العمدة) من حيث تقديم المضمون، ومن حيث مستوى اللغة والبحث عن الحجج والبراهين من كتب العامَّة، لكنَّه لا يقدِّم طرق رواية صحاحه وأسانيده كما فعل في (العمدة)، بل يذكرها في أثناء الكلام، فيذكر أنَّ الحديث الفلانيّ أخذه من المصدر الفلانيّ، أو أنَّ هذه الآية شُرحت ونقلها عن فلان من علماء وكتب العامَّة.

وربَّما جاء هذا الكتاب على هذه الشاكلة؛ لأنَّه تكملة لكتاب (العمدة)، فالمنهج واضح والطريقة معروفة، فما من داعٍ لإعادة المقدِّمة أو توزيع الموضوعات على فصول ومباحث، كما فعل في بقية كتبه، وإن كان ذلك ضرورة لا بدَّ منها؛ لكي يستقيم أمر

الكتاب، ويسهل تناقله بين الناس.

وعلى الشاكلة عينها سار المحقِّق، فلم يضع لنا مقدِّمة أو منهجًا للتحقيق، بل اكتفى بصنع الهوامش والفهارس الخاصَّة بالكتاب، على أنَّ ذلك لا يقلِّل من قيمة الموضوعات التي يقدِّمها الكتاب، فهو في غاية الأهميَّة في إكمال الصورة التي يريد الشيخ ابن البطريق رسمها عن مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآل بيته الأطهار.

ثالثًا: كتاب خصائص الوحي المبين في مناقب أمير المؤمنين

يعدُّ كتاب (الخصائص) للشيخ ابن البطريق الحِلِّيّ من أهمِّ الكتب التي ألَّفها في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد ألَّفه بعد كتابي (العمدة) و(المستدرك)[٥٥]، لكن هذا الكتاب لا يعتمد إلَّا على الآيات القرآنيَّة المذكورة في صِحاح وكتب علماء العامَّة من دون إشراك لأيَّة شخصيَّة أخرى، كما حدث في كتابيه السابق ذِكرهما، فيقول موضِّحًا ذلك- فضلًا عن سبب التأليف- «فإنِّي لـمَّا صنَّفت كتاب العمدة من صِحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وصيِّ المختار صلَّى الله عليه وعلى الأئمَّة من ذريَّته الأطهار، وجعلته خدمةً للمواقف المقدَّسة الشريفة الطاهرة النبويَّة الإماميَّة الناصرة لدين الله زاده الله شرفًا وعلاءً، وانتشر ذلك في الأمصار والأقطار، وظلَّ خدير الأبرار وحديث السُّمَّار، لم أزل متطلِّعًا إلى تجريد كتاب مفرد في مناقبه صلَّى الله عليه من وحي العزيز الجبَّار موافقًا لما ورد من صِحاح لفظ المختار، إذ هو العلم الأطول في الاستبصار والسرُّ الأسبل في الاستنصار منير الزناد مبير الأضداد، في العلم أسبل نجاد، وفي الدين أشمل بجاد، وفي الكلم أصفى أبراد، وفي الحكم أصفى إيراد، وفي الانتجاع أنجم، وفي الاتِّباع أسلم، وفي الحجة ألزم، وفي الشبهة أجسم، وفي المدحة أعظم»[٥٦].

وكالعادة يذكر طرق الصِّحاح والأسانيد التي استخدمها في كتبه، والتي ذكرت الآيات حقّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وبالطريقة عينها في كتابيه السالف ذِكرهما.

الكتاب بتحقيق (محمَّد باقر المحموديّ)، جاء مقسَّمًا على خمسة وعشرين فصلًا في (٢٧٦) صفحة، في كلِّ فصل آية قرآنيَّة تثبت حقَّ الإمامة لعليّ ابن أبي طالب عليه السلام، وبحسب ما وردت في كتب العامَّة ومساندهم، من مثل قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[٥٧]، فيذكر أنَّ هذه الآية نزلت في بيان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأنَّ بيت عليّ وفاطمة عليهما السلام من أفاضل البيوت التي مدحها الله تعالى[٥٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٥٩]، فقال: «حدَّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدَّثني أبي قال: حدَّثنا محمَّد بن مصعب قال: حدَّثنا الأوزاعيّ عن شدَّاد بن عبد الله أبي عمَّار عن واثلة بن الأسقع قال: طلبت عليًّا في منزله، فقالت فاطمة عليها السلام: ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فجاءا جميعًا فدخلا ودخلت معهما، فأجلس عليًّا عن يساره وفاطمة عن يمينه والحسن والحسين بين يديه ثمَّ إلتفع عليهم بثوبه، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ اللَّهُمَّ إنَّ هؤلاء أهلي [اللَّهُمَّ أهلي] أحقُّ»[٦٠].

وهكذا يستطرد في الكثير من التفاسير التي شرحت وفسَّرت هذه الآية الكريمة، ثمَّ يربطها بالآية السالفة الذِّكر (في بيوت الله) عن تفسير (الثعلبيّ) فيقول: «عن أنس بن مالك وعن بريدة قالا: قرأ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية، فقال رجل: أيّ بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: (بيوت الأنبياء)، فقال أبو بكر: هذا البيت منها؟- أي بيت عليّ وفاطمة- فقال: (نعم من أفاضلها)»[٦١].

وعلى هذا المنوال يسير في بقيَّة فصول كتابه إلى أن يصل إلى نهايته من دون تدخُّل في

الآيات أو شرحها، لتكون أنجع في مجابهة الطرف الآخر.

وبناءً على ذلك، فإنَّ صورة الدين الحنيف وأركانه ستصبح واضحة للقارئ، فالآيات والأحاديث والروايات الدينيَّة التي ذكرها ابن البطريق الحِلِّيّ لا تترك مجالًا للشكِّ في أفضليَّة الإمام عليّ وأهل بيته الأطهار، فهي دليل دامغ يخترق الأبصار على صورة حقائق سماويَّة، أُرِيدَ منها بناء دولة العدل والإنصاف، دولة الإسلام المحمَّديّ التي لا تغيب عنها شمس الحياة الدنيا.

رابعًا: كشف المخفيّ من مناقب المهديّ عليه السلام

يعدُّ كتاب (كشف المخفيّ) من الكتب التي أضاعها الزمن، فضاع معها جزء من تاريخ الحركة الفكريَّة في مدينة الحِلَّة، لكن نظرًا لأهميَّة هذا الكتاب، انتشر كثير من مباحثه ومضامينه في كتب عدَّة؛ فكان ذلك دافعًا للسيِّد محمَّد رضا الحسينيّ الجلاليّ لجمع هذه المضامين واستخراجها وتحقيقها، ثمَّ نشرها في مجلَّة علوم الحديث التي تصدر من كليَّة علوم الحديث في طهران، في العدد (١٣/ ١٤٢٤هـ) بعنوان: (كشف المخفيّ عن مناقب المهديّ عليه السلام)، فقال في مقدِّمة الكتاب: «بعد أن وفَّقني الله للوقوف على اسم الكتاب وجملة من أحاديثه، عزمت على إحيائه، وحيث لم أجد نسخة متوفِّرة، وتمكَّنت من معرفة منهج تأليفه وعرفت محتواه كمًّا وكيفًا، صمَّمت على استخراج نسخة منه، وقد شرحت جانبًا من الطريق إلى هذا المُستخرج في مقالٍ مستقلٍّ في الصفحات السابقة من هذه المجلَّة»[٦٢].

والكتاب على أربعة فصول- كما قسَّمه السيِّد الجلاليّ- فجاء الكتاب على الشاكلة الآتية:

- الفصل الأوَّل: في أنَّه لا بدَّ من مهديّ، ولو لم يبقَ من الدنيا إلَّا يوم واحد لبعث الله رجلًا من أهل الرسول يملأ الأرض قسطًا وعدلا[٦٣].

- الفصل الثاني: في قول النبيّ: إنَّ المهديّ من ولد فاطمة[٦٤].
- الفصل الثالث: في أنَّ عيسى بن مريم يصلِّي خلف المهديّ عليه السلام[٦٥].
- الفصل الرابع: في ذِكر الدجَّال[٦٦].

ثـمَّ خاتمة نقلها من كتاب (العمدة) بخصوص أحاديث عن الأمام المهديّ عليه السلام، إذ يرى أنَّها كالاستنتاج منها؛ لذلك نقلها في نهاية الكتاب، إذ أكَّد ابن البطريق الحِلِّيّ اعتماده على الصِّحاح الستَّة ومسند أحمد بن حنبل التي هي عمدة كتب الإسلام، فضلًا عن كتب أخرى كتفسير القرآن للثعلبيّ، فضلًا عمَّا ترويه الشيعة ممَّا هو أكثر في الرواية، وأبلغ في الدراية[٦٧].

ومن الملفت للنظر أنَّ ابن البطريق الحِلِّيّ- برغم توزّع كتابه هذا في كتب عدَّة- إلَّا أنَّه حافظ على منهجه العقليّ الذي يعتمد فيه على كتب أبناء العامَّة، فهو يجمع أحاديثه من صحاح ومساند أبناء العامَّة؛ لكي يقول لهم: إنَّكم بالابتعاد عن الطريق المحمَّديّ إنَّما تبتعدون عن الله تعالى، وذلك ليس من عنديَّاته بل من كتبكم التي تعتمدون عليها في دينكم ودنياكم.

ومن الجدير بالذِّكر أنَّ هذا الكتاب الذي استخرجه السيِّد محمَّد رضا الحسينيّ الجلاليّ هو الآن في طور الطباعة في مركز تراث الحِلَّة، التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة.

والحقيقة إنَّ الشيخ ابن البطريق الحلِّيّ قدَّم- بتأليف هذه الكتب وبهذا المنهج- خدمةً كبيرةً للإسلام أوَّلًا، ثمَّ لآل الرسول الأطهار ثانيًا، فدافع عن الحقِّ الذي اغتصبه الطغاة وفُسَّاد الآفاق، وقد بذل في هذا التأليف جهدًا كبيرًا، فضلًا عن علميَّة متميِّزة ساعدته في لـمِّ هذا الشتات من الآيات والأحاديث الموزَّعة في كتب الصِّحاح ومساند علماء أبناء العامَّة وفقهائهم، فهو عمل جبَّار لا يقوم به إلَّا من آمن بالقضيَّة المحمَّديَّة العلويَّة، مجابهًا المخاطر التي لولا الحالة السياسيَّة المضطربة لكانت خطرًا محدقًا به وبالمقرَّبين منه.

الخاتمة

يعـدُّ الشـيخ ابن البطريق الحِـلِّيّ مجدِّدًا في ميـدان العمل الفقهـيّ والحديثيّ، الذي يعمـل على بيان أحقيَّة آل الرسـول عليهم السلام في إمامة المسـلمين، ولاسـيما الإمـام عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، فقد قدَّم أفكاره بموضوعيَّة واضحة وأدلَّة حاسـمة من القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة الشريفة.

اعتمد الشـيخ ابـن البطريق الحِلِّيّ منهجًـا لا يؤاخذ معه فيما يقدِّمـه من آراء تخصُّ قضيَّـة إمامة آل الرسـول عليهم السلام، فيقوم هـذا المنهج على جمع فضائل آل الرسـول عليهم السلام ومناقبهم، لكن ليس من مصنَّفات علماء الشـيعة، بل من صِحاح ومسـاند علماء العامَّة كابن حنبل وغيره،؛ وبذلك يُفحم المعترضين، ويكشـف عـن موضوعيَّة وذهنيَّة فائقة الـذكاء فتحت الطريـق لمن جاء بعده لكي يعمل في هذا الميدان مسـتمدًّا أدلَّته من كتب علماء أبناء العامة وفقهائهم.

هوامش البحث

(١) يُنظر: الأعلام: ٨/ ١٤١.

(٢) معجم البلدان: ٢/ ٢٩٤.

(٣) يُنظر: العراق في العهد السلجوقيّ: ٤٥. وسيف الدولة الأمير صدقة بن منصور: ٤١، وما بعدها.

(٤) يُنظر: فوات الوفيات: ١٩/ ١١٧.

(٥) معجم البلدان: ٢/ ٢٩٤.

(٦) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٩/ ١٣٣. والبداية والنهاية: ١٢/ ١٩١.

(٧) يُنظر: الحِلَّة في العصر العباسيّ الأخير: ١٨.

(٨) يُنظر: م.ن: ١٨، وما بعدها.

(٩) يُنظر: م.ن: ٢٤، ٣٥.

(١٠) يُنظر: الكامل: ٩/ ٣٧٣.

(١١) يُنظر: الحِلَّة في العصر العبَّاسيّ الأخير: ٣٥ وما بعدها.

(١٢) يُنظر: م.ن: ٦٠، وما بعدها. وتاريخ الحِلَّة: ٢/ ٣.

(١٣) يُنظر: الحوزة العلميَّة في الحِلَّة: ١١٧، وما بعدها.

(١٤) الثقات العيون في سادسة القرون: ٣٣٧. والذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٤/ ١٩٨.

(١٥) يُنظر: الأعلام: ٨/ ١٤١. والحوزة العلميَّة في الحِلَّة: ١٢٣.

(١٦) يُنظر: لسان الميزان: ٨/ ٤٢٦. والأعلام: ٨/ ١٤١.

(١٧) تأسيس الشيعة: ١٣٠.

(١٨) لسان العرب: ٣/ ٣٠١.

(١٩) كتاب خصائص الوحي المبين: ٥.

(٢٠) بعض الشخصيَّات لم استطع الوصول إلى ترجمة خاصَّة بها؛ لذلك ذَكرتها كما وجدتها في المصادر والمراجع.

(٢١) يُنظر: الثقات العيون:٢٧٨. وبشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ٥، وما بعدها.

(٢٢) يُنظر: تأسيس الشيعة: ١٣٠. والثقات العيون: ٢٧٣.

(٢٣) يُنظر: كتاب خصائص الوحي المبين: ٣٢.

(٢٤) يُنظر: كتاب خصائص الوحي المبين: ٣٢.

(٢٥) يُنظر: م.ن: ٣٢، وما بعدها.

(٢٦) يُنظر: العمدة من عيون الأخبار: ٥٩، وما بعدها. وكتاب خصائص الوحي المبين: ٢١.

(٢٧) يُنظر: كتاب خصائص الوحي المبين: ٢٢، ما بعدها. والعمدة: ٦٠، وما بعدها. والمستدرك المختار في مناقب وصيّ المختار: ١، وما بعدها.

(٢٨) يُنظر: تأسيس الشيعة: ١٣٠. والأنوار الساطعة في المائة السابعة: ١١٨.

(٢٩) يُنظر: الأنوار الساطعة: ١١٨.

(٣٠) يُنظر: أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٣. والأعلام: ٥/ ١٣٧.

(٣١) يُنظر: الأنوار الساطعة: ١٧٥. والثقات العيون: ٣٣٧-٣٣٨.

(٣٢) يُنظر: الثقات العيون: ٣٣٨.

(٣٣) يُنظر: تأسيس الشيعة: ١٣٠. وأمل الآمل: ٢/ ٣٤٥. والثقات العيون: ٣٣٨.

(٣٤) يُنظر: العمدة: ٤٢.

(٣٥) يُنظر: لسان الميزان: ٨/ ٤٢٦. وتأسيس الشيعة: ١٣٠. وأمل الآمل: ٢/ ٣٤٥. والثقات العيون: ٣٣٧.

(٣٦) يُنظر: مصفى المقال في مصنِّفي علم الرجال: ٥٠١. وأمل الآمل: ٢/ ٣٤٥.

(٣٧) رياض العلماء وحياض الفضلاء: ٥/ ٣٥٩.

(٣٨) يُنظر: م.ن: ٥/ ٣٥٥. والعمدة: ٢٦.

(٣٩) العمدة: ٤٢.

(٤٠) م.ن: ٢٦.

(٤١) رياض العلماء: ٥/ ٣٥٩، وما بعدها.

(٤٢) أمل الآمل: ٢/ ٣٥٤.

(٤٣) تأسيس الشيعة: ١٣٠.

(٤٤) يُنظر: الثقات العيون: ٣٣٧.

(٤٥) بالإمكان مراجعة الكتب الآتية للوقوف على هذه المؤلَّفات بصورة وافية: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، وأمل الآمل في علماء جبل عامل، وطبقات أعلام الشيعة، وتأسيس الشيعة للعلوم الإسلاميَّة.

(٤٦) يُنظر: العمدة: ٣٨.

(٤٧) يُنظر: م.ن: ٣٨.

(٤٨) العمدة: ٤٢، وما بعدها.

(٤٩) يُنظر: المستدرك المختار في مناقب وصيّ المختار: ٥، ما بعدها. والذريعة: ٢١/ ٥.

(٥٠) يُنظر: م.ن: ٢٥٥، ٢٨٩، ٣٦٩.

(٥١) يُنظر: م.ن: ١٣، ٣٨، ٤٣.

(٥٢) الأنفال: ٦٢.

(٥٣) طه: ٢٩

(٥٤) المائدة: ٣.

(٥٥) يُنظر: كتاب خصائص الوحي المبين: ١٠، ١٨.

(٥٦) م.ن: ١٨.

(٥٧) النور: ٢٤.

(٥٨) كتاب خصائص الوحي المبين: ٦٧.

(٥٩) م.ن: ٦٧، وما بعدها.

(٦٠) م.ن: ٦٨.

(٦١) م.ن: ٨٠.

(٦٢) كشف المخفيّ من مناقب المهدي عليه السلام: مجلّة علوم الحديث، ع١٣/ ٢٣١.

(٦٣) م.ن: ٢٣٣.

(٦٤) م.ن: ٢٨٣.

(٦٥) م.ن: ٢٨٧.

(٦٦) م.ن: ٢٩٣.

(٦٧) م.ن: ٢٩٧-٢٩٨.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأعلام: الزركليّ (ت ١٩٧٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢.
- أمل الآمل في علماء جبل عامل: محمَّد بن الحسين الحرّ العامليّ (ت ١١٠٤هـ)، تح: أحمد الحسينيّ، دار الكتاب الإسلاميّ، إيران، د.ط، د.ت.
- الأنوار الساطعة في المائة السابعة: آغا برزك الطهرانيّ (ت ١٩٧٠م)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- البداية والنهاية في التاريخ: ابن كثير، تح: عليّ شيري، مطبعة دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٩٨٨.
- بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: أبو القاسم الطبريّ (ت ٥٥٤هـ)، تح: جواد القيوميّ الأصفهانيّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ط٢، ١٤٢٢هـ.
- تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: السيِّد حسن الصدر، منشورات الأعلميّ، طهران، د.ط، د.ت.
- تاريخ الحِلَّة: يوسف كركوش، المطبعة الحيدريَّة، النجف، ١٩٦٥.
- تاريخ العراق في العصر السلجوقيّ: أمين حسين، مطبعة الإرشاد، بغداد، د.ط، ١٩٦٥.
- الحِلَّة في العصر العبَّاسيّ الأخير (٥٤٥-٦٥٦هـ): لينا مقيم جبَّار، رسالة ماجستير، كليَّة التربية، جامعة بابل، ٢٠١٠.
- الحوزة العلميَّة في الحِلَّة نشأتها انكماشها (الأسباب والنتائج): عبد الرضا عوض، دار الفرات، الحِلَّة، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آغا برزك الطهرانيّ (ت ١٩٧٠م)، دار الأضواء، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.
- روضات الجنَّات في أحوال العلماء والسادات: الميرزا محمَّد باقر الموسويّ الخوانساريّ (ت ١٣١٣هـ)، الدار الإسلاميَّة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- رياض العلماء وحياض الفضلاء: الميرزا عبد الله أفندي (ت ١١٣١هـ)، تح: أحمد الحسينيّ، مطبعة الخيام، قم، د.ط، ١٤٠١هـ.

- سيف الدولة الأمير صدقة بن منصور المزيديّ: عليّ كريم دبوس، مطبعة الضياء، النجف، ٢٠٠٦.
- طبقات أعلام الشيعة: آغا برزك الطهرانيّ (١٩٧٠م)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩.
- عمدة عيون صحاح الأخبار: ابن البطريق الحِلِّيّ، تح: الشيخ مالك المحموديّ، الشيخ إبراهيم البهاديريّ، مؤسَّسة الإمام الخامنئيّ، طهران، ط٣، ١٤١٢هـ.
- فوات الوفيات: محمَّد شاكر الكتبيّ، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، د.ط، ٢٠٠٠.
- الكامل في التاريخ: ابن الأثير، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، مطبعة دار الكتب العلميَّة، ط٤، بيروت، ٢٠٠٦.
- كتاب خصائص الوحي المبين: ابن البطريق الحِلِّيّ، تح: محمَّد باقر المحموديّ (ت ٦٠٠هـ)، دار القرآن الكريم، قم، ١٤١٧هـ.
- لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت.
- لسان الميزان: ابن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢هـ)، تح: سلمان عبد الفتَّاح، دار البشائر الإسلاميَّة، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢.
- المستدرك المختار في مناقب وصيِّ المختار: ابن البطريق الحِلِّيّ (ت ٦٠٠هـ)، تح: سعيد عرفانيان، مكتبة العلَّامة المجلسيّ، قم، ط١، ١٤٣٦هـ.
- مصفى المقال في مصنِّفي علم الرجال: آغا برزك الطهرانيّ (ت ١٩٧٠م)، دار العلوم للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.